يحيى رباح

المشوار الطويل
«في ذكرى انطلاقة الثورة»

١ ــ روافد النهر الكبير

هل رأيتم ذات مرة غيوم الشتاء الحبلى بالأمطار، كيف تدفعها الرياح القوية، فتهاجر إلى مسافات شتى؛ وحين يتأتى الاوان، ويرتسم ذلك التطابق بين القدرة والحلم على وجه الزمان، تهطل تلك الغيوم أمطارها. غيمة تمطر فوق رأس جبل، وغيمة تمطر فوق سفوح الهضاب، أو فوق سهل فسيح، أو حتى صحراء... تتدفق كل تلك الجداول بالمياه، وتلتقي كل تلك الروافد مع بعضها، ليتشكل منها بعد ذلك نهر الحياة الكبير.

تلك هي فتح في بداياتها.

رياح النكبة السوداء اقتلعت شعبنا من الجذور، وقلبت حياته رأساً على عقب، وجعلته يبدو مثل شجرة مزروعة في الفراغ، شعب سجين داخل ما تبقى من الوطن، شعب لاجيء في بعض أجزاء الوطن التي فقدت أسماءها، وهجرة شاسعة مثل تلك التي كانت تحدث في العصور السحيقة، واغتراب قسري امتد إلى الأردن وسوريا ولبنان ومصر والعراق، ثم إلى شبه الجزيرة والخليج، ثم إلى أطراف القارات الاخرى، وكان الفلسطيني يصرخ في صحراء المأساة: أنا فلسطيني. فيرجع الصدى كأنه الجنون: أنت لاجيء ولا شيء غير ذلك. وكان الفلسطيني يصرخ في صحراء الغربة:

ــ هذا الوطن فلسطين... وطني. فيرجع الصدى كأنه الجنون: ليس على الخارطة شيء اسمه فلسطين.

تلك كانت صدمة النكبة، تلك كانت وطأة المأساة، لكن فلسطين ظلت محمولة في الذاكرة.

وكان الفلسطينيون يطلقون على أولادهم الذين يولدون في المنفى أسماء من نوع